الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية الآداب والفنون
قسم الأدب العربي

شهادة مشاركة

يشهد كل من: رئيس الملتقى الوطني، والسيد رئيس قسم الأدب العربي، والسيد العميد بكلية الآداب والفنون أنّ الأستاذ(ة): نسيبة طهار قد شارك (ت) في إثراء فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بـ: السّرديات وآليات تحليل النّص الأدبي "التجربة الجزائرية أنموذجًا" والمنعقد يومي الأربعاء والخميس : 7/6 ربيع الأول 1440هـ الموافق لـ 15/14 نوفمبر 2018م بمداخلة عنوانها: ثيمة الجنس في السرد النسوي تشظي الجنس الأنثوي وألق السلطة الذكورية بوابة الذكريات لآسيا جبار أنموذجا.

رئيس الملتقى الوطني	رئيس قسم الأدب العربي	عميد كلية الآداب والفنون
الدكتور إسماعيل زغودة	الدكتور: توام عبد الله	

الملتقى الوطني: السرديات وآليات تحليل النص الأدبي
"التجربة الجزائرية أنموذجًا"

الأستاذة:طيهار نسيبة
جامعة محمد بوضياف –المسيلة–

ثيمة الجنس في السرد النسوي تشظي الجنس الأنثويوألق السلطةالذكورية
–بوابة الذكريات لآسيا جبار أنموذجاً–

الملخص:

نحاول من خلال هذه المداخلة الاشتغال على الثيمات المكونة للبنية النص السردي الروائي الذي يشكل الهوية الإبداعية للنص الأدبي، ويتجلى من خلال كشفه مع كل نص روائي عن بنية جديدة ومختلفة التي تعلن انبثاقه اللامحدود، وحركته الفاعلة في تأطير الحدث السردي، ومنه تكوّن"تيمة الجسد"الهيكل المحدد للعمل الروائي لارتباط السرد بالعناصر (الزمن، والفضاء، المكان، والوقت) الذي يحدد الاستراتيجية الحديثة للعمل الروائي فلا وجود للرواية دون هذه التنوعات المرتبطة بالثيمات التي تشكل محور الجمال للنص الروائي، ووجود هذه الميكانيزمات المفارقة للعمل السردي يخلق جو الإبداع الفني والجمالي للنص الروائي باعتبارها أبعادا جمالية تضفى عوامل الإثارة والتشويق والحركة، ويصبغه بطابع فني جمالي يحمل تحركات زمنية (ماضي، حاضر، ومستقبل).

وتتبني مقاربتنا الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي عبر النسق البنيوي وهي التيمة الأكثر حضورا داخل النص والممسكة له، ولشبكاته التعبيرية مثل(الغربة الموت، والعنف، الألم، الصراع، الجسد،الجنس...)وتعدّ تمطيطاً، وتوسيعاً، أو اختصارا وتكثيفاً دلالياً، ونبحث أيضا عما يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقاً وانسجاماً وتنظيماً، ويظهر الفكرة المتجسدة في وعي الكاتبة، ومفهوم الكتابة النسوية الجديدة، وتكشف المقاربة الموضوعاتية للعمل الأدبي الإمساك بالموضوعات الواعية وغير الواعية للكاتبة في العمل الأدبي بحيث تقتضي الانطلاق من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى قصد التوصل إلى تحديد الثيمات المهيمنة وتفكيك النص إلى حقول معجمية، ورصد الكلمات المفتاحية، والصور المتكررة، وتحويل ما هو شاعري وروحي إلى وحدات دلالية ذات طبيعة حسية ملموسة، عبر هذا النموذج الروائي للكتابة في بوابة الذكريات لآسيا جبار.

الكلمات المفتاحية: بوابة الذكريات، الجنس،المنهج الموضوعاتي،الجسد،الأدب النسوي،السلطة الأبوية.

1–مفهوم الموضوع ورصد للمفاهيم:

إنّ البحث عن الدلالة اللغوية لمفهوم التيمة يستلزم بنا البحث أولا في دلالتها المُعجمية ومن ثمة فقد وقفنا عند المصطلح في بنياته العلائقية التي تشكلت عنها المفردة فنجد استعمال للمصطلح عند (التيمي) بشكل انطباعي وعفوي من قبل جان بول ويبر"jean Paul Weber"،إذ أطلقه على الصورة المتفردة والملحة في تكرارها واطرداها والمتواجدة بشكل مهيمن فيعمل أدبي عند كاتب معين،ومن الصعوبة بمكان،تحديد المفهوم اللغوي للنقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة،نظرا لتعدد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية،ومن

ثمة،فليس"هناك ما هو أكثر إبهاما من الموضوعاتي،حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاء لدلالاتها وقراباتها الضمنية والخفية،واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال"[1].

ونلحظ بأن سعيد يقطين قد وجد في كلمتي "التيم"و"التيماتية"مرادفا لمصطلح الموضوعاتية،وهو أثر للمصطلح الأجنبي الوافد إلينا –في نظره–حيث يقول:إن التيمة(Thème)،بحيث ينقلها على لسان برنار دوبربي "B.DUPRIEZ"،هي الفكرة المتواترة في العمل الأدبي،وتستعمل أحيانا بمعني الحافز الكثير التواتر،غير أنّ"التيمة" أكثر عمومية وتجريدا"[2].

في حين يعرفه سمير حجازي أيضا على أنّه:"النقطة التي يتبلور عندها الحدس بالوجود الذي يتجاوز النص دون أن يكون مستقلاً عن الفعل المؤدي إلى إظهار أو هو إحدى وحدات العمل الأدبي الدلالية التي نشير إلى كل ما يشكل قرينة متميزة الدلالة عن الوجود في العالم الخاص بالكاتب وباعتبار الأدب هو موضوع التجربة أكثر منه معرفة،وأن هذه التجربة ذات جوهر روحي"[3]، وأما "الجذر فهو رحم الموضوع ونواته السيكولوجية التي يرتد إليها"[4].

ونلاحظ هذا التنويع الموضوعاتي للكلمات التي استعملتها آسيا جبار في روايتها بوابة الذكريات،في أنّ "**تيمة الغربة**" هي أكثر حضوراً بين كل التيمات المصاحبة لها مما يشكل لنا هاجساً دلالياً لهذه التيمة على وجه الخصوص ف "الكلمات /المواضيع Thémes Mots،في تقدير "بيار غيرو"P.Gruirand"هي"الكلمات الأكثر تواتراً Plus Fréquents في نص ما"[5].

ومنه تتشكل معمارية النص الأدبي الإبداعي عبر هذه التواتراتالنصانية المبثوثة في ثناياها "فتيمة الجنس" تشكل هذه التيمة الرئيسية للموضوع وبذلك تعد هاجسا للكاتبة خاصة وأنّ طفولتها مرت بهذه الصدمات المتكررة في نظر جون بولي الذي يلاحق طفولة الكاتب في نصه، ويحيل إن مكنونات الذكريات المتشدقة في ذاكرة آسيا جبار.

ثم نجد "**تيمة الجسد**" التي عجلت بظهور الكتابة النسوية التي خرجت وكسرت كل الطابوهات الكتابة الروائية عن تلك التقاليد والطريقة التي تكتب بها الروايات عادة،والتي شكلت الإبداع النسوي،ومن ثمة لاحقت "**تيمة الأرض**"وهي التيمة الفاعلة والمكونة لفحوى النص في تيماته المتجانسة،وهي سر وموضوع هذه الكتابة التي شكلت المنعطف الحاسم بين أرض تنتمي له عرقا وأصلاً،وأرض تعيش فيها بمختلف ثقافاتها وحضارتها وأهمها لغتها، والذّي شكل حسب جورج بولي وعي الكاتب وموضوعاته لمكان ما حيث يقول

---

[1]- جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، الألوكة، يوم:2018/04/10، الساعة:23:00، WWW.alukah.net.ص:4.

[2]- سعيد يقطين: القراءة والتجربة،، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، المغرب، 1985م، ص:232.

[3]- يوسف وغليسي: التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج...فعل الكلام، دار ريحانة331، جي البدر القبة، الجزائر، ص:43.

[4]- نفس المرجع، ص48.

[5]-نفس المرجع، ص:52.

مارسيل رايمونM.Roymond،في هذا الصدد:"رأينا الوعي ينعزل،ويتغير كل شيء فيه حين يقبل باقتحام مناهج العمل له،وبعثوره على سعادته في الأضواء الخارجية،وجني الحساسية"[6].

ويفسر جورج بولي قول مارسيل بأنه:"يوجد إذن ضوء وموضوعات في مكان ما،بأعماق الوعي،وبالجهة الأخرى التي أصبح كل شيء فيها تفكيراً،وبالمنطقة المعارضة للنقطة التي اقتحمنا بها،كما توجد كذلك عيون لإدراك ذلك"[7].

إن نلحظ وعي المؤلفة بالأحداث التي تجري داخل محيطها الاجتماعي وبذلك يعكس هذه التحولات الموضوعاتية داخل وعيها العميق بالظروف والأحوال السياسية،وتحتل "تيمة الجنس"بعداً دلاليا أخر شكل أحد الأوجه للتنويع الموضوعاتي بل هي الأساسية فيه والمشكلة لهذا التنويع.

وقد وقفنا كذلك بدورنا على أحد التيمات المقطبة في تشكيل الموضوعات للنص الروائي لآسيا جبار وكشف أحد أهم الدلالات الموضعية والنفسية الكاتبة وهي"تيمة الغربة"التي رصدتها بمختلف تيماتها كوحدات صغيرة،وهي تعكس الجرح العميق داخل المؤلفة إزاء ابتعادها عن وطنها الجزائر،ثم عن تحولاتها النفسية وعمقها الوجداني والروحي بقضايا المجتمع العربي،الذّي يعاني ويلات الاستدمار الفكري،والثقافي،والاستعماري،الذّي يسيطر على الفكر العربي في بلاد إسلامية عربية،التي بدأت تتأثر بذلك ،ونلحظ تأثر وتأثيره في كل ربوع العالم الإسلامي فهذه الثنائيات الفرعية شكلت كما يرى:"عبد الكريم حسن في اتجاهه الموضوعاتي المتميز الذّي أسماه غريماس"الوحدة المُعجمية"[8].

2-رصد الفضاء الموضوعاتي في رواية بوابة الذكريات لأسيا جبار:

"بوابة الذكريات"هو اسم رواية للكاتبة أسيا جبار الجزائرية التي تعد من أهم الأقلام النسوية الجزائرية التي كتبت باللغة الفرنسية،وقام بترجمتها محمد يحياتن،الصادرة عن دار أمين عام،2007.

وتقع الرواية في (530)صفحة من القطع المتوسط ذات المقياس 101,8×197,4،وتناثر ذكرياتها التي تعد بمثابة نص أدبي يتناول السير الذاتية للكاتبة، ويحتوي النص على ثلاث عناوين رئيسية مهمة وهي:

-شظايا الطفولة.

-تمزيق المحجوب.

-تلك التي تجري صوب البحر.

ثم نجد أنَّ هذه العنوانين الرئيسية تحتوي على عنوانين فرعية أخرى،بالإضافة إلى خواتم وملاحق في الأخير.

---

[6]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1989، ص:111.

[7]-نفس المرجع، ص:111.

[8]- حميد لحميداني: سحر الموضوع –عن النقد الموضوعاتي في الروية والشعر، منشورات دار سال، المغرب، 1990، ص:03.

بوابة الذكريات لآسيا جبار أنموذجا

آسيا جبار في هذه الرواية تعكس الحياة الجزائرية وتقارنها بالحياة الأوروبية وأوجه الثقافية والأصالة بينهما، ترصد تلك الشذرات من ذكرياتها الطفولية الحاضرة في وعيها،"شظايا الطفولة"التي "تساءلت في وجدانها الأنثوي"ترى هل الطفولة سرّ خفيّ لا يسمع أم غبار الصمت؟"فهي تفتح "بوابة الذكريات" على مصرعيها فنجد "وعى آسيا جبار عميقاً إلى جوف الكينونة...إلى بئر الليبيدو التي منها ينبث نور الوجود،نور الصانع لتلك التشكيلة المبهرة من الضوء والظل حيث صورة الحياة المجسمة،الرجرجة..."[9].

حيث أن مرحلة الطفولة هي نقطة انطلاق،والحياة الأنثوية للبنت الصغيرة،إضاءة للهاجس المركزي الذي تتكون منه الفتاة،ثم تتشكل الصفة النهائية للمرأة،والأم،الأنثى،وصولا للأنوثة الكاملة في نموها العقلي والاجتماعي والفكري والديني،ومنه "برزت صبية للوجود:عمرها سنتان ونصف السنة أو ربما ثلاث سنوات.ترى هل الطفولة نفق من الأحلام لامع هناك على خشبة مسرح حيث يعاد العرض،ولكن لك وحدك أنت ياصاحبة العين الجاحظة؟هذه طفولتك تمتد لأي صفيّة وكاتمة"أسرار ولأي ابنة عم عابرة تكون قد رأت دموعك تنهمر في خضم الشارع فيما مضى،أو نحيباً لا يزال يمزقك؟"[10].

---

[9]- سعد محمد رحيم: بوابة الذكريات لآسيا جبار: لغة مهموسة وقليل من الحياء الشرقي، الحوار المتمدن، العدد 5649، 23/8/2017/2018،ساعة:01:00 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid .

[10]- آسيا جبار: بوابة الذكريات، تر:محمديحياتن، دار أمين، 2007.، ص:13.

*آسيا جبار: هي من مواليد 30 يونيو 1936، توفيت في 6 فبراير 2015، كاتبة وروائية جزائرية، معظم أعمالها تناقش المعضلات والمصاعب التي تواجه النساء، كما عرف عنها الكتابة بحس أنثوي الطابع عليها، وتعتبر آسيا جبار أشهر روائيات الجزائر، ومن أشهر الروائيات في إفريقيا الشمالية، تم انتخابها في عام 2005 عضوة في أكاديمية اللغة الفرنسية وهي أعلى مؤسسة فرنسية تختص بتراث اللغة الفرنسية،حيث تعتبر أول شخصية من بلاد المغرب والعالم العربي تصل لهذا المنصب ،كما أن الكاتبة ولدت باسم فاطمة الزهراء في عام 1936 غرب الجزائر العاصمة حيث تلقت دراستها الأولى في المدرسة القرآنية في المدينة قبل أن تلتحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية في مدينة موزاية ثم البليدة فالجزائر العاصمة ، وقد شجعها والدها الذي تقول عنه بأنه "رجل يؤمن بالحداثة والانفتاح والحرية"، وتابعت دراستها في فرنسا، حيث شاركت في إضرابات الطلبة الجزائريين المساندين للثورة الجزائرية ولاستقلال الجزائر، آسيا جبار خاضت الكتابة الأدبية والمسرحية والإخراج السينمائي بنجاح، فنشرت أول أعمالها الروائية وكانت بعنوان "العطش"أول كاتبة تفوز عام 2002، بجائزة السلام التي تمنحها جمعية الناشرين وأصحاب المكتبات الألمانية،وقبلها الكثير من الجوائز الدولية في إيطاليا، الولايات المتحدة وبلجيكا، كما أنها انتخبت بين أعضاء الأكاديمية الفرنسية لتصبح أول عربية وخامس امرأة تدخل الأكاديمية ،توفيت آسيا جبار يوم السبت7 فبراير 2015 في أحد مستشفيات العاصمة الفرنسية باريس، ودفنت في مسقط رأسها.

من مؤلفات آسيا جبار والتي كتبتها بلغة الفرنسية:

-العطش1957 رواية.
-القلقون1958 رواية.
-أطفال العالم الجديد1962 رواية
-القبرات الساذجات1967 رواية
- للجزار السعيدة 1969 شعر.
- نساء الجزائر في شققهن 1980 قصص.
-الحب الفانتازيا 1985.
- الظل السلطان1987 رواية.
-واسع هو السجن 1995 رواية.
-بعيدا عن المدينة المنورة1991 رواية.
- أبيض الجزائر 1996 قصة.
- هذه الأصوات التي تحاصرني:على هامش فرنكفونيتي 1999 دراسة.
-مرأة بدون قبر رواية 2002.

ونجد أن الكاتبة تقيم في ذروة لحظاتها الطفولية،ومراهقتها المهتزة، صوراً لحياتها منذ نشأتها الأولى إلى ضوابط التمييز بين الجنسين الذكري والأنثوي، حيث تخضع هذه البنت الصغيرة إلى تلك الرقابة السلوكية والأخلاقية الصارمة،من خلال خروجها للأعراس،وإلزامها بالبروتوكولات الرسمية كأنثى تتجاوز مرحلة الطفولة، فعليها أن تكون حركاتها هادئة،ومشيتها مهذبة،وصوتها خافت ،وكذلك ضحكتها منخفضة،ورأسها مطأطأ لأسفل الأرض خاصة عندما تكون أمام الوالد أو الأخ أو الرجال،وعليها أنتلتزم بالتقاليد الجزائرية لا بل وتخضع لها كونها ممتدة لشرع الإسلامي، وقابعة منذ قرون لسيطرة الأعراف، فلباسها يكون محتشماً،والذي يغطيها من رأسها إلى أسفل قدميها،وبهذا تقدم لنا آسيا جبار فاتحة لصور متوازية للثقافتين غربية وعربية،مسلمات مفروض عليهن الحجاب والتستر،وعالم يطفو مع البكيني والعرى،وتروي حياتها الذاتية الممتدة لعالم عربي وإسلامي خاصة في الجزائر وسط المدينة شرشال تتساءل في قرارة نفسها "خلال عقود بعد ذلك:لقد كان انتقالي من البهو إلى النور الشمسي لأول الشوارع-لا يتعلق الأمر بشوارع وسط المدينة،كلا بل المسار المفنن الواقع على الحواف،على امتداد الأطلال الرومانية-مغامرتي الأولى،إن طفولتي متحركة ولكن تحت المراقبة،طفولة أرهقتها مسؤولية غامضة تتجاوزني"[11].

ولأن ثيمة الرواية هي الجنس،فإن هاجسها ومحورها المركزي يكاد يتركز على العلاقة بين الجسد ومدينة،فإن الجسد يكاد يصبح هو المدينة بحيث تمارس عليه لعبة الحدود والمقاسات،والفواصل،لتضبط حسب جسد الأنثى حتى لا تخرج بدون أن تتستر كلية، فوظيفتها في المجتمع ينحصر في دورها في الحياة العامة حتى تتمكن من العيش حسب منضومة الحياة الاجتماعية الجزائرية، وبذلكتصبح المدينة جسداً وأي خروج عنه يعتبر حرية اجتماعية ولكن يطبق علانية في المدن الأوروبية،"في الخارج،في شارع عين القصيبة المنحدر،أجري وأنتحب وأصرخ صراخا خافتا أو أخنق انتحابي،وفي أحشائي تنفرج عقد وتصعد من حلقي لتصير واديا مهجورا مقفرا ونحيبا وتحوّل إلى نهر لا يكف عن الهدير،ثم تتجلى في شكل عبق بطئ فعنيف،ذلك أن جسدي طوال هذا الوقت الذي قضيته وأنا أنتحب،سرعان ما انتفض خارج منزل الوالد،ذلكم المنزل الموجود في الأعلى قرب الثكنات والهضاب، فقدام جميع الغرباء عن هذا الزقاق المنحدر(أصحاب المحلات،الأطفال،بعض الفضوليات اللواتي اشرأبت أعناقهن خارج العتبات)،في خضم هذا الكابوس الطويل دون أن أسترجع الأنفاس،أعبر الشارع وأنا أكاد أصرخ إلى غاية منزل أمي وأسرتها قبل الكنيسة بقليل،بشارع يوليو قيصر"[12].

-اندثار اللغة الفرنسية 2003 رواية.
- لا مكان في بيت أبي 2007 رواية.
أفلام: - نوبة نساء جبل شنوة 1972.
- الوليمة أو أناشيد النسيان 1982.

[11]- م،ن، ص:18.
[12]- م،ن، ص: 28، 29.

وتنتمي الرواية إلى الفترة مابعد الكونياليةفي خلفياتها الإيديولوجية فهي تجسد ما بعد الحداثةباعتبارها تحمل رؤى فلسفية ولغة معقدة وراقية تلك اللغة الفلسفية العصية الفريدة المبهمة لا على مستوى التركيب النصي اللغوي، وإنما على مستوى وضوح شكل العلاقات وموقع الأماكن،وتناقض البيئات،تلك التنقلات في عالم التخيلي الأنثوي يظهر الكتابة النسوية من زاوية خاصة جداً فنجدها لا تقتصر على ما تكتبه الأنثى فقط،بل تحمل الصفتين معاً،فالروايه لا تكون نسوية لمجرد أن كاتبتها امرأة،بل لابد للرواية التي تحمل الصفة النسوية أن تكون معينة بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة بالمعنى النسوي،أو"الجندري*"[13].

فالأدب الأنثوي النسوي يعبر عن رؤية أيديولوجية بحته،يستدعي بالضرورة الوظيفة الجنسية،لكونها صفات ملتزمة بالمرأة،فهي بذلك تخترق نواة ذاكرتها الأنثوية التي تسعى لاختراق العوائق الاجتماعية والسياسية والثقافية والحقوقية،والأخلاقية والدينية،هذه الانتقالية تحدد هوية الراوي أو تكون غير مبررة ومفهومة في غالب الأحيان"فجأة،في الأسفل،انفتح باب منزل الأم:بمجرد دخولي،سقطت في أحضان أمي أو ابنة عمي أو جارة ترتدي حجابها،ولكنه حجاب "من عندهم"من هذا العالم الذي لن يكون أبدا عالمي،بما أن جدتي قد اختفت هناك في الأعلى؟"[14].

ونجدها أيضا تعبر عن قيم ثقافية دينية مختزلة في غمار النص عن الواقع الجزائري المحكوم في وعيه الاجتماعي بشروط تربوية وثقافية وموروثات فكرية،وألفاظ مستعملة بحسب المفهوم والصورة السيسولوجية داخل الطبقات الاجتماعية،في حين نجد بأن الحرية الفكرية بالنسبة للأوروبيات يعتبرنها ثقافة سلوكية يحترمنها داخل أي مجتمع ما بما فيها المجتمع الإسلامي:"...بين عشية وضحاها،أن تخرج"عارية"وفق اللفظ العربي المستعمل آنذاك-أي دون الحايك"الإسلامي"-ومن ثمّ عدم الظهور علانية كالأوروبيات اللواتي نصفهن ب"العاريات"هؤلاء الأوروبيات اللواتي يحترمن الجميع،بمن فيهن نحن؟"[15].

تعطي بذلك لمشهد المحكي حركية انتقالية للواقع وشرح للتفاصيل بطريقة تعبر فيها عن رأيها ومرة تقوم بعملية إلتقاط للصور فقط،ومرة تقوم بدور المحامي بالدفاع أو الهجوم،حتى وأنت تقرأ لها تحس بنوع من التطرف الفكري، وأحيانا العلمانية، ومرات تقف على خصوصية الدين الإسلامي في وجدان آسيا جبار عندما تعيدنا للطفولة الأندلوسية"كنت لا أزال طفلة:قد يكون ذلك قد حصل بعد عدة مواسم صيفية،بمعية أقرب ابنة عمّ لي خلال شهر رمضان،وكنا نرتدي قميصاً أبيض،كانت القريبات والعمات والخالات ينهضن من نومهن هامسات لتناول السحور الذي يساعدهن على تحمل الصيام في اليوم المواليوالحال أننا كنا نرغب نحن كذلك

---

*الجندر: هو نوع اجتماعي أو الجنوسة وهو مجموع الصيفات المتعلقة والمميزة ما بين الذكورة والأنوثة،يختص بنوع الشيء أو جنسه، يعني كذلك النوع وقد أطلقه الألمان وهي فكرة فلسفية تأخذ معناها من فلسفة داروين عن تطور الجنس البشري بما تسمى نظرية الانتخاب.

[13]- نزيه أبو نظال:تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية،المؤسسة العربية لدراسة والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص:11.

[14]- المصدر نفسه،ص:30.

[15]- المصدر نفسه،ص:69.

في الصيام:بدافع الكبرياء؟وها نحن ناعستان مترنحتان نوجه لهن لوما شديداً لأنهن أقصينا من هذه الوقفة الليلية لأننا كنا في نظرهن "صغيرتين"جدا؟"[16].

وتحمل الرواية موضوعة الخجل الذي تتصف به النسوة، في اجتماع النسوة على مائدة السحور بدافع التستر والخجل من عدم قيامهن بالصيام في اليوم الموالي، وذلك لأسباب وأعذار شرعية دينية التي تمنح وتخول لهن بمبررات في فعل ذلك، ولكن استيقاظهن دلالة لقيمة السلطة الذكورية التي تجسد معاني الهيبة والوقار واحترام للرجل ولأنفسهن ف:"كانت النساء الكبيرات يضحكن خجلات قليلاً وقد تركن لنا حيزاً ما بينهن،حينئذ تعترينا سعادة جمة لبقائنا قصد تناول السحور مع الكبار،حتى نتمكن من اجتياز اليوم الموالي دون أكل وشرب، غير أننا بدلفنا وسطهن كأشباح نحيلة بدونا فجأة بالنسبة إليهن بمثابة مشاغبتين"[17].

وقد عكست الرواية الأنثوية انشغالات المرأة واهتماماتها موضوعا لها تتحدث فيه عن مشاعرها،وترفع الحايك عن مكامن ضعفها، وتزيح النقاب عن أهم القضايا التي تواجهها في ظل سلطة أبوية وسلطة ذكورية مفروضة عليها دائما في المنزل أو خارجه بحكم العادات والتقاليد "فنظرة المرأة إلى ذاتها وإلى الآخر ويصف مشاكلها وآلامها الناتجة عن صراعاتها الداخلية والخارجية في اصطدامها بالمجتمع"[18].

هذه الرواية تجمع بين الثرثرة وحديث النسوة،والاستغابة،ونظرات رجال المدينة وألسنة القرى،وتتمح فرصة التبادل بين الأطراف، وتبادل الأدوار، وتباين الشخصيات السلطوية،وفي معظم الأحيان شخصيات ذكورية استبدادية*،ونكتشف من خلالها نوعية الآخرين في فكرهم ،وعاداتهم وتقاليدهم،تدفع الأنثى للبحث في ذاتها وشكلها ،بدافع اكتشاف الذات والأنا لديها،وحتى لو أعطيت حريتها فلا تعرف ماذا تفعل بها؟،كونها قد غرس في ذهنها منذ الوهلة الأولى ولحظة ولادتها أنها أنثى تخرج من سيطرة الأب والأخ إلى سيطرة الزوج ثم الولد،وهذا سبب الأزمة وخلل النفسي الذي تعاني منه المرأة، فلا تجد سوى جسدها وجنسها الأنثوي ليكون" جمالها هو مصدر ثقتها،هذا الجمال الذي كان قائما على القيمة سائد في تلكم الفترة:رغم قصر قامتها كانت تزعم بأنها مزودة بجسم بجسم"استثنائي"لا لشيء إلاّ لأنها الوحيدة من بين خمس أخواتها التي تحظى بسحنة

---

[16]- المصدر نفسه :ص31.

[17]- المصدر نفسه :ص31، 32.

[18]- كورنيليا الخالد: المرأة العربية-الإبداع النسائي وخصوصية الإبداع السنوي(أوراق عمل الإبداع الأول 1997) منشورات وزارة الثقافة، 2004، ص:15.

*الذكورية الاستبدادية: تتخذ معاني الاستبدادية من السيطرة الأبوية التي تقر بثنائية التسلط والخضوع، ليس بين الفرد والعائلة فحسب، بل بين الحاكم والمحكوم، حيث مازال الحاكم العربي يستبد برأيه وإرادته المطلقة ويتم التعبير عنها بالإجماع القسري، فيكون ذو نزعة الأبوية فهي علاقة استبدادية تسلطية ،وهي علاقة غير متكافئة في الأصل، وغير عادلة سواء كان شيخ القبيلة أو القرية، أو رئيسا، أو والياً، أو خليفة أو ملكاً، لأن الرعية في النهاية تخضع للأوامر، وتذعن للمطالب لدى الشعب والسكان والأسرة، وتولد بذلك صراعاً اجتماعيا، وتوتراً نفسياً، تغرس جذور فكرية وهي الإحساس بالعظمة للمرؤوس، و تسعى لخلق تنظيم بيروقراطي، وتضخم من شأن الذكورة، وتسقط الأنوثة لأنها تلغي الحرية، فتلغي بذلك الحوار والتفاهم في الأسرة والمجتمع.

فاتحة كأنها شقراء حقيقية بشعر كستنائي.في الفترة الاستعمارية بالفعل،كانت كل امرأة أهلية شقراء في مقدورها أن تظهر بمظهر الأوروبية لأول وهلة،تظفر بنجاح الخروج في مجموعتها"[19].

فمصطلح"الأدب النسوي"، الأدب النسائي"،و"الكتابة النسوية"،"أدب المرأة"أو"الكتابة الأنثوية"هي مصطلحاتلنصوص إبداعية كاتبتها امرأة أي الجنس الأنثوي تتصل بقضايا نسوية تطرحها بشكل أنثوي تتميز بالخصوصية الذاتية الموغلة في أعماق السرد النصي،ويمثل وعي الكاتبة،بحيث يسمح لنا بتتبع سيرتها وحياتها،كونها نشأت بين أبٍ متعلم لكنه خاضع للعادات والتقاليد والأعراف،ولقوانيين المجتمع الذكوري الذي يمارس دوما سلطته البطريركية* الذي ينتمي ويعيش فيه،حيث تكتشف هذه الفتاة اليافعة سوداوية المجتمع بدءا من طفولتها التي اكتشفتها مع والدتها في عالم النساء،والأعراس في الجزائر فتجسد بذلك "وعي وموضعة وكشف تجارب ومعاينات وتصورات وحاجات وأحلاماً طال عهدها بالصمت والخفاء"[20].

ونحن نقف عند الكتابة النسوية لدى آسيا جبار عبر هذه الرواية التي حملت عبق التجسيد الموضوعاتي للدّلالات المضخمة التي تشكل زئبقيته المبثوثة داخلها في ثنايا النص الإبداعي في مسرديته الشعرية التي عرفت عن آسيا جبار،ونجد"تيمة الغربة" وهي العنصر الرئيسي الموجود في العمل السردي المترامي الأطراف لثيمات أخرى يشكل الموت ثيمةموضوعاتية رئيسية تحمل في طياتها ملاحقة للكاتبة وبذلك يشكل الهاجس المطارد للروائية وهو الاطراد الذي ذكره "جون بيار ريشار"،وقد شكلت أزمة ذاتية للكاتبة خاصة وأنها تحاول الهروب أو الهجرة نحو فرنسا بعدما غارت الجزائر لتنجو من المدينة وخاصة القرى، فماذا تفعل في مدينة تلفها حواجز العادات والتقاليد"كان التقليد يجري آنذاك في صمت،ولكن بمجرد أن يأويا إلى غرفتهما"[21].

وكأن الغرفة هي الحيز الذي نجي من ممارسات السلطوية الذكورية، لا بل هو المكان الوحيد الذي يستطيع أن يخفف من الضغط الاجتماعي، ويعالج نفسية المرأة والرجل،هذه الغربة هي غربة الوجدان والشخصية والذات الفاعلة، فإما أن تهرب إلى أبسط مكان موجود بالمنزل، أو أن تقع تحت ضغط مجتمع فضولي مازال حسب ما تقوله:"وأما الفضوليون العرب،المنشغلون بلعبة الدومينو في شرفات المقاهي،فهم

---

[19]-المصدر نفسه،ص:272.

*السلطة البطريركية: هو نظام أبوي بطريكي يشق وجوده من النظام الاجتماعي وسايكولوجي في العادة، ويرتكز على العادات والتقاليد حيث يشكل أكبر الذكور أو الأب أو الأهل سلطة مطلقة أو جزئية على الزوجة أو الأولاد وبالأخص الفتيات، ويشكل الأخ كذلك سلطة على الأخت أو والدته أحياناً، ونفس الأمر لولي الأسرة حيث يمارس سلطويته بشكل مطلق وأحيانا تعسفي وقهري، ونوع من الظلم النفسي، وكنوع من العنف، ونجده كذلك يشير إلى هيمنة الرجال على الأنظمة الثقافية والاجتماعية، كما أن هذا النظام يعارض بشكر كبير من قبل المنضمات النسوية والحقوقية العالمية.

[20]- بن جمعة بوشوشة:الكتابة النسائية المغاربية، المغاربية للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص:20.

[21]- المصدر نفسه ص:56.

يعلمون أن هذه المرأة العابرة هي زوجة مواطنهم الذّي يتولى تعليم أطفالهم،تتقدم بوصفها حضرية هادئة،وإن كانت منفية في القرية،مادّة يدها لغبنتها،وفق الأعراف"[22].

فنجدها بذلك تهرب من مستنقع المدينة وألسنتها؟هذه المحافظة الشديدة تكونت من الفكرة الذكورية اتجاهالأنثى بحيث تكون ساترة"فالساترة غارقة تحت الحرير الناصع،بحيث لا يمكن للمرء سوى رؤية عرقوبيها أو عينيها السوداوين أعلى "العجار"،المصنوع من فتل الحرير على أنفها لمست يدي قماش الحايك"[23]،فالجسد المكشوف هي حكاية الأنثى في العالم العربي الإسلامي،ويعتبر كشفه من المحظورات والممنوعات،إنه الخوف الجسدي وخوف آخر من كلام الناس وحدة ألسنتهم،وحتى ثقافة الأب وكونه متعلماً لا يستطيع كبح كلامهم،أو رد الأعراف،ولا يهمه الأمر إن فقدت ابنته ذاتها في ظل ما يقع على الأنثى من الضيم والقهر الاجتماعي،في مجتمع يناهض بمنطق الرجل وسلطاويته،وفقاً لرؤيته،وتفصيلا بحسبه هو ووجهة نظرته الذكورية السائدة،حيث لا مكان للمرأة سوى كونها دائماً الثانية تحقيراً وإهانة،هذه الحواجز والفواصل تم سنها وتدعيمها من قوانين الأعراف والتقاليد حتى أن نظراتهم لها تختلف ف "نظرات الرجال – أصحاب المحلات المنتصون،والمتسكعون الجالسون أو الفضوليون البسطاء–منصبة علينا نحن الاثنتين(إنها بداية عشية مشمسة)،تجمع شملنا"[24]، فالمرأة تعامل كما لو أنها ارتكبت جريمة ما لو نزع من رأسها فقط الحايك أو كشف عن وجهها العجار"[25]، ولئن كان الرجال يحملقون فيها رغم أنها مرئية ويمكن التعرف عليها بفضل العديد من التفاصيل المرتبطة بالحايك وانتفاخ القماش المرن العالق بالأرداف، فإن نظرتها المنخفضة تتجه بعيداً،في حين أنا الفتاة الصغيرة لا أحد يعبأ بي؟"[26].

إن "**تيمة الغربة**" تشكل أحد أهم الوحدات المعجمية حضورا حيث يتشكل معها النص الأدبي فضاءاً مهما في نسقه كوحدة عمل متكاملة ف:"**تيمة الغربة**"،هي وحدة علائقية جسدت معاني النص الأدبي،ونجد في غربتها هذه تتساءل"من قال إن"المستعمرة"هي بالضرورة ميدان بكر حيث يقيم ويغامر الرواد المتلهفون للبناء والإعمار من عدم،من أجل الجميع؟...كلا،إن المستعمر هي قبل كل شيء عالم مقسم إلى قسمين:"نحن الذين نبني لأننا هدمنا"(لم نهدم كل شيء بل تقريباً كل شيء؟"و"ما بقي مما مضى"(قبلنا وقبل تهديمنا،كانت معاركنا تجتر ذكرى مجيدة مزعومة)"[27]

ويتعالى صوت الألم مرة أخرى في صهد الغربة،والسلطة الاستعمارية التي تكتسي عباءة الديمومة،وتعتبر استيطانها لدولة ما إرث لها فهي"مستعمرة عالم دونما وراثة أو ميراث"[28].

---

[22]- المصدر نفسه، ص:93.
[23]- المصدر نفسه، ص:15.
[24]- المصدر نفسه، ص:16.
[25]- المصدر نفسه، ص:16.
[26]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[27]- المصدر نفسه، ص:44.
[28]- المصدر نفسه،ص:45.

وتتمنى لو تعود إلى أحضان الوطن وأحضان والدها،إلى تلك الجلسات العائلية إلى كل شيء،بعد أن تيقنت عمق فكرها وأهدافها،وحقيقتها الوجودية منها"المستعمرة تلد الفرقة:إنها مسجلة في جسمها،كل جنس من الجنسين مقسم وكل واحد من فروعها ممزق وكل جثة من جثثها أو من بكورها غير معترف به"[29]

وهنا نفهم أن المستعمرة لا تعترف حتى بالأولاد الذين ينجبونهم،وهذا يعني التهميش والتمزيق للعرف والجنس الإنساني مادام الهدف معلوما،ونجدها تقول:المستعمرة تتبدى لأول وهلة وكأنها ثأر أو مستقبل وأرض مغامرات،في حين تبسط أمامها قطراً لامحدود له وأرض المغامرات،وصحراء وأرضا من "محميات"مجعولة لمنبوذين ومحتشداً لمعتقلين دائمين منفيين...."[30]،فلا عجب من"الأوروبيين "الأقدام السوداء"المتأثرين بأغنى معمري البلاد"[31].

وقد وجدنا كذلك أحد أهم التيمات الفرعية في النص، لأحد أهم الوحدات المعجمية التي غيرت إيقاع النص وزادته جمالية فنجد"تيمة الخجل" والتي تحمل تلك الإيقاعية في نفس الكاتبة، فنجدها موجودة في النص السردي بدلالاته المختلفة يتخطف الأنفاسبين"يمشين خجلات،التقييد،بما يختلج في صدرها،تضع العجار،احمر وجهها،أهدابها مرتعشة،تمشي ببطئمتجة صوب المنزل العائلي،لا تلتفت يمينا ويساراً...،وعثرنا كذلك عن عبارات تدل على عدم الخجل والجرأة الكبيرة:"كيف يمكن تحديد دور منيرة هذه ياترى؟ميزتها أنها جريئة وتعدم الخجل،نحن قرابة ثلاث داخليات مسلمات اخترنا لنكون ضمن الجوقة،منيرة لا تبرحنا وكأن طاقة غريبة تحدوها،وكأنها قررت وضع سيناريوما:إلى حد الآن لم ألاحظ سوى ذهابها وإيابها،أي كونها غير مستقرة في مكان.تقترب من الفتيان ثم تعود نحونا ونحوي..."[32].

وهي كلمات متواترة عبر كامل النص الأدبي السردي،الذي يدل على مظاهر القبح وعدم الحياء، من انتهاك للخصوصيات الثقافية الفردية والجماعية للنساء خاصة الأوروبيات منهن،فلكل مجتمع ثقافته وخصوصياته العرقية والدينية والسلوكية،ونجد ذلك التفاوت التكراري لموضوعة"الخجل" كذلك من خلال ما تحمله من دلالة نفسيةبشعة،وإحساس النفسي والاجتماعي بالضياع والتهميش.

وتحتل غمار السرد تتساءل عن مصير هؤلاء؟، بل وأشخاص غرباء لا يمتون بصلة لا قريبة ولا بعيدة لها،أشخاص تقمصوا دور الأدب للولوج إلى العوالم الداخلية الذاتية للأنثي،فنجدها تقول:" أظن أني حاولت محو هذا الصداع بل وحتى الإحساس بأن شخصا آخر مجهولا قد دلف وتقمص شخص أبي... كائن لا هوية له مزوّد بصوت جديد قصد إطلاق صرخة غير مسيطر عليها،هذا الغضب الأعمى وهذه النبرة التي كانت مع ذلك تشعرني بالخجل؟"[33].

---

[29]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها
[30]-المصدر نفسه،ص:8.
[31]- المصدر نفسه،ص:52.
[32]- المصدر نفسه،ص:271.
[33]- المصدر نفسه،ص:64.

ونجد أنه عندما يتمكن الانسلاخ غير الأخلاقي فينا فهو قد يصبح أحب شيء لنا وقد هالها الموقف بشدة لحد إنها تساءلت:"هذا غير معقول،وفضلا عن هذا تبدو فخورة بما أقدمت عليه؟أما أنا بقيت صامدة في التشبث بقيمنا.بل سأذهب حتى إلى الإشفاق على هذه الصديقة:فأن تترك جسدها يعبث به ذراع رجل غريب أمر يبدو لي حيواناً...والطهارة ياآنسة؟والعهد المبرم-وإن بشكل غير صريح-معالأب؟"[34].

ونجد تلك اللغة النفسية الصريحة عن قيمة الأب وسلطته على النفس والذات حتى أثناء غيابه فهو يعتبر هاجسا يمارس سلطويته في الخفاء والعلن ويفرض سلطته حتى على جسدها فلا يحق لها أن -تخونه سراً وتخون ثقته بها- وهي بذلك تجسد معاني الوفاء والخضوع لكي لا تجلب له الخزي والعار والدمار بحسب ثقافتها الدينية والتربوية فهي ليست حرة في جسدها وأنى لها أن تمارس الجنسية الراقية في نظر الأوروبيات؟،وتساورها تلك الانفعالات الذاتية:"في مقدوره أن يسمع بدوره اعترافات المراهقة الأوروبية ورغم هذا،سيقرأفي قلبي،وسيحفظ ثقته بي،إنه يعرفني"صادقة ووفية"ولكن وفية لأي شيء:وفية له وهو الأب الحارس الرقيب والأب المتشدد؟ كلا إنه الأب الذي يمنحني حريتي بشكل حازم ومبرم"[35].

وتواصل اعترافاتها وتحدثها عن مغامرات النساء الأوروبيات وهتك حيائهن في كون حريتها أسمى درجة تمتلكها كأنثى:"أنا المراهقة-لاعترافات جاكلين الصغيرة في المرقد:بدت لي حريتها عبارة عن وقاحة وخرق بل مغامرة حقيقية؟"[36].

وتصور لنا مشهدية التفكير الجزائري إزاء الخجل والحياء كقيمة خلقية، أن الشرف أسمى من كل شيء ويمتد إلى فضيلة الأعراف المتدفق بين ثنايا الوجدان الجزائري حينما"توقفت آسيا جبار عن استذكار جاكلين،أشعر بأني لو تركت نفسي تنقاد لوصف مفاجأتي بالموقد واعترافات جاكلين،فإني سأبدو حتى في نظر بنت عمي، التي تنتظر بفارغ الصبر ليلة "زفافها"،"فتاة بريئة""[37].

وبين أسارير التعذيب الوجداني في صورة لأحد أنواع الموت الجسدي والفكري:"هناك إشارة أخرى،عابرة سبيل في هذه القرية والتي تقيم بالعاصمة،قدمت حكماً لاذعاً:-الفرنسيات؟كلهن فاجرات؟"[38].

ثم تعود لتبحث في الذات من جديد ويعود ترددها الموضوعاتيللاطرادية:"أتساءل:ألا يكون المجتمع النسائي المنذور للانغلاق محكوما أولاً من داخل الانقسامات الحادة بسبب الخصومة بين السجينات متمثلات؟...أم أن الحلم يتلاشى هنا:الحب الأبوي الذي يهبكم منزلة"ابنة الأب"المرغوب فيه،ومنزلة"البنت المحبوبة"على غرار ما حصل في ثقافتنا الإسلامية حيث لم يكن للرسول سوى بنات(أربع بنات)،وكل واحدة

---

[34]-المصدر نفسه،ص: 231.
[35]- المصدر نفسه،ص: 232،231.
[36]-المصدر نفسه،ص: 232.
[37]- المصدر نفسه،ص:233.
[38]-المصدر نفسه،ص: 233، 234.

كانت بنتا استثنائية.البنت الوحيدة التي عاشت بعد وفاته،المحرومة من الميراث الأبوي،عانت من ذلك أيما معاناة،ما أفضى إلى وفاتها.أكاد أسمعها تتنهد بصوت خافت:"لا مكان لي مع الأسف في منزل أبي؟"[39].

وفيذلك تعود لتتساءل دوما عن حقيقة التميز وسلطة الذكر في مجتمع لا يوازن بينهما أو بالأحرى يدفن الصوت الأنثوي ليتعالي صوت آخر:"خلال المسافة،زمجر الصوت الذكوري:إنه يشبه صوت إمام.ولكنه صوت ذلك الذي يرافقني-إنه يكرر... "[40]،وعن رحلة للبحث عن الذات نجد:"كان الصمت إزاء الذات أخطر"[41].

إنها صرخة تنطلق من عمق الذات، من عمق المجتمع، بل هو لغة الفرض النفسي والإجبار الوجودي لصوت الذكورة، وهو نوع من الضغط الذي طال حتى الصوت الأنثوي فيكون عليه رقابة ويعتبر من المحظورات والمحرمات، إنه يمثل إهانة للأنثى وإهانة للأدب وينقص من تكاملية تربيتها وأخلاقها،حتى يصبح الصمت صفة لازبة في المرأة وخفضه خفض لحقوقها ومطالبها، وحتى قراراتها بالحياة، إنه تحكم ديناميكي آلي في لغة البوح والاعتراف الذي لو تخرج عنهالأنثى فستكشف النظام البطريكي، وخصوصية الجنس الذكوري "... كان من الأجدر بك أن تصرخي في القفار كما العديد من الزهاد وهم كثر في أرض الأجداد،ومن كل الأديان"[42].

وتسدل الكاتبة الستار عن "تيمة الخجل" في آخر كلماتها عنه في أن هذا العامل أسقط الكثير من حقوق النساء حتى الميراث منه "لم يعد لي"منزل أبي".أصبحت عديمة المكان هناك،لا لأن الوالد قد توفي منهوكا في بلد يقال إنه تحرر وحيث تحرم البنات من حقهن من الميراث من قبل أبناء أبيهن "[43].

ونجد أيضا تنويع تيماتي في النص السردي وهي:"تيمة الجسد"ترصد تلك الانفعالات ،وتصوير حجم الأزمات العنيفة،في أشد حالات توترها وانفجارها،ويتصل مفهوم الجسد بتلك اللغة التي تمتاز بالشاعرية والانزياحات فهي تمثل الوجود الإنساني المادي الذي يتصل بالرغبة واشتهاء والحب وكل مايعلن عنها في لغة الكلمات المحيطة بها،فالنص الروائي النسوي يشتغل على أيقونية الجسد في نواته الدلالية فهو يعتبرها محطة عبور للنص وخرق لنمطية الكتابة القديمة،إلى كتابة تفضح أسرار الذات فهو يشبه"النواة الدلالية الممغنطة تستقطب فقرات النص ومحاوره،كما تساعد الدلالة فيه على الانعتاق والانطلاق في فضاء المتعدد واللامحدود"[44].

ونجد هذه القيم الدّلالية تتجلى في كل أنحاء الجسد:"جسمها، الأرداف،عرقوبيها،عينيها السوداوين،أنفها،النحيف،صدرها،الرضاعة،يقبلانها،أصرخ،أحشائي،أغمضعينيّ،الجفون

---

[39] -المصدر نفسه، ص: 269، 270.
[40]-المصدر نفسه،ص: 485 .
[41]-المصدر نفسه،ص: 501.
[42]-المصدر نفسه،ص: 502.
[43]-المصدر نفسه،ص: 502.
[44]- الأخضر ابن السايح:سرد الجسد،وغواية اللغة،قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى،عالم الكتب الجديد الأردن، ط1، 2011،ص:274

المحمرة،يداعبها،الجسد العاري،النساء العاريات،العيون الخضر،طويلة،جميلة،وشعرها أشقرشامخات الرأس..."،يتوجه هذا المعطى الغريزي الانفعالي الناتج عن ذلك الجسد المؤجج بكل ما تحمله من مفاتن وإغراءات، ونجد كذلك أن كل جزء من الجسد يحمل قيم دلالية تكون الانشطار الانفعاليالتعالقي بين ما هو خفي وهو مبطن في صورة المرأة،وبين ما هو ظاهر في المرأة وجمال الجسد بغض النظر عن الحجم والقيمة والمساحة،ويشكل الجسد وحدة إنتاجية للنص ويبين أثر الكتابة النسوية المنطلقة من الجسد أساساً،فالنص والجسد يتقاطع مع علاقاته الدلالية في تشكيل الموضوعات الفرعية له وهو المرأة في الأساس ثم"**تيمة الحب**"،التي كونت النص من بدايته إلى نهايته،فنجد:" القلب،الروح،الشوق،أحبك،تمنيت،قمة الرفض،خفت،الزواج،اللقاء،أصرخ،قلب امرأة،الفراغ،اشتقت إليك،العمق،تحبينه،الفراق،الصراخ،الألم، النحيب،البكاء،عشقهن...."،وقيمة هذا الإنسان تتجلى من خلال هذه الثيمة الفرعية الثالثة،وهي "تيمة الإنسان"لتشكل الشخصيات السردية داخل المتن الروائي المحكي وبذلك تتخطى الكتابة النسوية منعرج آخر لتخرج من تلك الرقبة الرواية في تكوين الشخصيات داخل المتن السردي ونجد تيمة الإنسان في أكثر مفردات العائلة اللغوية:"المستعمر،الأقارب،النسوة،الأب، الوالدين،المجتمع النسائي المنذور،البطل،الطفل،الشباب،العربي،الشعب،الرجال،الشهداء،الخونة،الصديق،الأطفال،أحدهم،الغرباء،الفنان،الم نتحر،الناس،عجوز،الجماهير،الخطيب،الأشخاص..."، هذه الجمالية أعطت الكثير من الخصوصية الإبداعية للنص،وتحمل دلالة الممارسة الجسدية الجنسية ونجدها مبثوثة في ثنايا النص الروائي:"يأخذ الفتى يدك ثم تصعد أصابعه إلى غاية ثقب؟بعد ذلك يلصق صوته بأذنك ويقول لك برقة فائقة:"قبلة؟...قبلة صغيرة ؟"حينئذ إن كنا وحيدين فلا بأس،نعم يقبلني ويضمنيو..."[45].

وتتخذ الحرية الجسدية المطلقة للمرأة الأوروبية أعلى معاني الممارسة الجنسية، كتعبير عن حرياتها الشخصية تخضع للنظام الموجود والعمول به في دولة تتمتع بالنظام الاشتراكي أو الرأسمالي،وبذلك تعد هذه الممارسات الجنسية والعلاقات العابرة كنوع من الحقوقية بين الطرفين وممارسة عادية لا تخضع لرقابة قانونيةأو دينية كما الموجود في العالم العربي الاسلامي الذي يجرم مرتكبه ويعاقب عنه:"صوت آخر ردّ بداخلي:"أنت معجبة بجاكلين وأناقتها جاكلين وحركاتها اللطيفة؟"[46].

وهذه السلوكيات لا تتمتع لا بالتحفظ ولا بالقيود ولا بالشروط الاجتماعية كما نراها في المجتمع الجزائري"... وبعد؟قلت غير مصدومة بموقف جاكلين السلبي،بل تحفظا أمام هذه السلوكيات التي لن تكون من سلوكياتنا أبدا..."[47].

---

[45]-المصدر نفسه،ص:230.
[46]-المصدر نفسه،ص: 230.
[47]- المصدر نفسه،ص: 230.

ونجد كذلك عدة أشخاص ومسميات ذكرتها الكاتبة:"قضيت شهورا وسنوات في إشباع رغبتك في السرير في هذه المدينة المجهولة وحتى وإن تركته يقبلك هناك،قبالة البحر-فقد سمح لك بالتحرك في كل مكان في الخارج،أحيانا بوصفك فتاة"مصحوبة"وأحياناً أخرى مع الإحساس المسكر بأنك أمام شاب أضحى فجأة خنثى"[48].

ونجد هذه المرأة تعاني تلك الفراغات في نفسيتها وذاتها:"كنت تقولين لنفسك"إن هذا الخطيب"قد فتح لك الأبواب غير المرئية لعالم خارجي لا متناه،وبأنه سيكون فخوراً بهذا الدور،بالمقابل ستقبلين بقبلاته دون أن تتأثري لذلك:هبة عاطفية من لدنك.حتى وإن حدست بأنه غير مرتاح وسجين رغباته التي يتعين عليه السيطرة عليها،ولكن لا تعبئين بذلك"[49]

وفي مقطع المذكرة الرابعة تقول:"كان عليك أن تتوقفي وأن تتساءلي ببرودة أعصاب"لو علم أبوك ماذا؟القبلات التي تقبلين بالكاد مع ما يشبه بداية الرغبة؟"[50].

وتقصد هنا الوطن الذّي عاشت فيه معززة مكرمة، تمتلك -في نظرها- كامل أنواع الحرية كامرأة محافظة لا تخضع لهذه الممارسات الشهوانية العابرة وتلك البشاعات التي تشكل العصبية والإرهاق النفسي وأحيانا الهستيرية،وتأنيب الضمير وجلد الذات،ويحمل عنوان"تلك التي تجري صوب البحر" تلك الأبعاد والدلالات الجمالية، فنجد المقطع الفرعي "في القرية مرة أخرى"وهي تعود بنا للوراء، "أوقف سرد مراهقتيلأن شكا مفاجئا يؤرقني:متى ومن خلال أي قطيعة أو لبس، وربما حتى قلق أو أي يقظة غامضة،بل أي وحدة لذيذة أو ساهية،أي باب ضيق أخيرا نخرج من فجر الحياة هذا وضوئه الذّي قد نعده ضوء حلم من الأحلام؟""[51].

نجد في المقطع تصف شكل الجسد وعلامات الجمال التي وجدتها في النساء،حيث تقول فيه:" مرّ شهر. رغبتي في الخرق خفتت.كان يحدث لي أن أستيقظ في عز الليل وأن أعي بأني أسلك سبيلا "خطيراً".ترى هل كنت أنا من يجرؤ حقا؟قلت في نفسي،وعيناي مفتوحتان في الظلام وكأني لم أعد أعرف في نفسي على فتاة الصيف الماضي ..."[52].

ويكتمل المقطع الجسدي الذي يجسد في خطية متوازنة أهم تيمة وهي تيمة الأرض التي عبرت فبها آسيا جبار وكأنها جسد أنثى فنجد"السنتان الأخيرتان من حياتي في الداخلية تظلان معلقتين(قد أعود إليهما من خلال ومضة ضرورية أو بمناسبة ذكرى من الذكريات)،قبل أن ترحل أسرتي كي تقيم بالعاصمة التي أمست

---

[48]-المصدر نفسه، ص: 461.
[49]-المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[50]-المصدر نفسه، ص 462.
[51]-المصدر نفسه،ص: 319.
[52]-المصدر نفسه،ص: 337.

مدينتي "الحقيقية"،مدينة سنة واحدة-الجزائر التي هي على وشك الاهتياج،مشرعة قبالة السماء والبحر،ستظل بالنسبة إليّ تلك المدينة المنحنية ذات عيون متعددة جاحظة ليل نهار،ولكن على ماذا؟...

كان يطلق عليها اسم مستعار:البهجة،الجزائر السلطانة التى سيستولي عليها الدوار قريبا.أود،أنا سأعيش بعد ذلك في باريس وتونس والدار البيضاء(المغرب)،أن أستيقظ كل يوم في العاصمة المتروكة لهمومها قبل أن أعود إليها خلال استقلال البلاد"[53].

ونجدها تفجر هذه الدلالات القوية والعميقة حتى ترى أن المستعمر قد:" في ذلكم العهد،لم يكن يدهشني كون هذه المحطات تحمل اسمين مختلفين تماما-أحدهما آت من البلد،والآخر لا ينتمي حقا إلى فرنسا-:غير أني أعدت التفكير في الأمر بعد سنتين أو ثلاث،حين تبلور بالنسبة إلي برنامج التاريخ... "[54].

ومن بين التيمات الفرعية والأكثر حضورا هي: "تيمة الأرض"والأكثر إلحاحا وإطرادية عبر كامل الرواية،ونجد أن الكاتبة قد عددت في أكثر من رواية داخل المتن المحكي السردي وبذلك تداخلت هذه الثيمات داخل تيمة الرئيسية وهي الوطن(الجزائر)الذي عبرت عنه من خلال وصف الجسد تقصد من وراءه وصف "للجزائر" على الخصوص،ثم العالم العربي بشكل عام،ونجدها تستعمل الرموز الأسطورية بكثرة في ذلك،وبعض الإيحاءات الحضارية الحديثة وتستحضر معه دلالة المكان أيضا:"الجزائر،شارع العربي،شرشال،جبال الأوراس،عظمة برج إيفل،حائط اللوفر،فرنسا،الغربيّ،تراب،مدنك الكبرى،المدن،الخرطوم،تونس،القلعة،شارع
باريس،الرباط،الطريق،الأوربيين،باريس،القوى،الدوار،العاصمة..."،وهذا يدل على وعي الكاتبة لأهمية المكان وقيمته في ذهن المؤلفة وتأخذ التمية ذروتها عبر رصد حقبة مرت عليها الجزائرية وهي المرحلة الاستعمارية حيث تربط أحداث النص السردي في مقتطف مشهدي يعكس حضور الزمن وهو ذكرى حياة عاشتها في طفولتها ورصدت من خلالها أحلام الماضي ورؤيا حقيقية وفلسفية للمستقبل،وقضايا الاستعمارية التي مرت بها الشعوب آنذاك.

ومن هذا المنعرج ينطلق "جورج بولي"في مجمل قضاياه النقدية من قضية الكشف عن وعي الأديب بذاته من خلال وعيه بالزمان والمكان،"فهذا البحث عن الماضي بعنصريه الزمن والمكان هو الذّي يمكن البطل،عند تحقيق وعيه بهما،من تحقيق وعيه بذاته نفسها،وهذا ماجعل "جورج بولي"يخلص إلى القول:(نرى إذن بوضوح أنّه منذ اللحظة الأولى،ونكاد نقول أيضاً منذ المكان الأول للحكاية، يفرض العمل البروستي نفسه بكونه ليس بحثا عن الزمن الضائع أيضاً)"[55].

---

[53]-المصدر نفسه،ص: 320.

[54]-المصدر نفسه،ص: 148.

[55]- محمد السعيد عبدلي:البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين،أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي إشراف أحمد منور، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م،ص:49.

وتكشف هذه التيمات قيمة الأرض فيها وحتمية اختزال المفاهيمي المشكل لمعظم الشحنات النفسية لدى المؤلفة من وحشية الاستعمار إزاء هذه الأرض حضارة وشعباً حيث تقول في هذا الصدد:"يسود وسط زبائنها نفس التمييز:من جهة الفلاحون العرب جالسون أو ملتحمون في الغالب،ومن جهة أخرى الأوروبيون بعضهم يرتدون بدلات وقبعات مستديرة على الرأس،وقلة يرتدون بدلات الكاسكيت...انتصرت الجيوش النابليونية قبل قرن ونصف،بينما يخصص لها الأهالي أسماء القبائل المجاورة"[56].

ويشكل المكان أهمية رئيسية للعمل السردي،كمركز ومحور جوهري ...في حين نجد أن للزمان أهمية في تفعيل دلالة المكان وهما يسيران وفق خطان متوازيان بحيث يدل الزمن على نفسية الإنسان مادام متصل بوعيه الخاص بحيث:"يمتلك الإنسان زمنه النفسي الخاص المتصل بوعيه ووجدانه وخبرته الذاتية فهو نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهو فيه مختلفون حتى أننا لا يمكن أن نقول أنّ لكل منا زمانا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية"[57].

ويجسد المكان بالنسبة للكاتبة لحظة الوجود ولحظة لكتابة السيرة الذاتية ذاتها المتلهفة،ويرى"جورج بولي" أنّ العناصر المتحكمة في التحليل الموضوعاتي للنصوص الأدبية هما عنصري:الزمان والمكان اللذان يساهمان في تشكيل الوعي،ويرى كذلك أنّ:"النصوص الأدبية هي تجسيد الفني لوعي المؤلف بهذين العنصرين،ولذا فالغاية من تحليل النصوص الأدبية هي العودة بالعناصر التي تشكل مشاهده وأحداثه إلى أصل تشكل الوعي عند الفنان،وهذا يتطلب من الدارس كفاءة نقدية هامة تمكنه من اكتشاف العلاقات القائمة بين المشاهد،وتحديد التعديلات التي دخلت على الموضوعاتية الأساسية للنص،ومن ثم اكتشاف هذه الموضوعاتية التي شكلت النواة أو الخلية التي تولد منها النص بجملته"[58].

خاتمة:

وتتمثل الاختلافات البيولوجية بين الذكر والأنثى والتي أقرتها الطبيعة بين الجنسين، باعتبارها أنّها تعطي لكل واحد منهما القدرة على فهم تجاربه الخاصة وإدراك أحاسيسه الذاتية أكثر من الآخر،بمعنى أن المرأة هي الأقدر على فهم المرأة والتعبير عن انشغالاتها والعكس صحيح،وإذا ما عبر أحدهما عن الآخر فهذا لا يعني أنه قد وصل إلى شعوره،ولامس حدودفكرته وتصوراته،وتتجلى الكتابة النسوية في قدرة المرأة على رسم الواقع الاجتماعي والتاريخي الذي تعيشه كأنثى تحمل ذاتهاوتجعلها تنطلق من كينونتها،وحياتها التي تصوغها بلغها الشاعرية،ولكن"وسط هذا التعارض تقدم الرواية النسائية فكرتها المضمرة،ففي ثقافة تراثية توقّر القيم الأبوية وتقدسها،ليس أمام المرأة غير الانخراط في دور إثارة إعجاب الآخر من جانب،وإنتاج صورة إغرائية للذاتبهدف لفت النظر،من جانب آخر"[59]، و"الجسد هو الوسيلة التي تنظّم العلاقة

---

[56]-المصدر نفسه،ص: 147، 148.

[57]- مها حسن القصراوي:الزمن في الرواية العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2004،ص:22-23.

[58]- محمد السعيد عبدلي:المرجع نفسه،ص:50،51.

[59]- عبد الله إبراهيم :السرد والجسد،موسوعة السرد العربي، ط1،دار بيروت،2014،ص:661.

بين الذات/المرأة والرجل/الرجل،وهذا هو الذّي يعلل سخاء السرد في الإكثار من أوصاف الجسد الأنثوي،والمبالغة في ذكر رغباته وتهويماته الجنسية،فالجسد ينتمي إلى عالمين،عالم ينتهكه وهو عالم الذكور،وعالم يحتفي به وهو عالم الإناث،ولأن الجسد لا يمكن له أبدا أن يحافظ على هويته إلا باتصاله بهذين العالمين في وقت واحد،لكي يعبر عن نفسه من خلال التواصل معهما،فإن ما ينبغي أن يحدث لكي لا يؤدي البحث عن الهوية التي تمزق الجسد هو تغيير المضمون الآيديولوجي السائد في عالمي الرجل والمرأة،المضمون القائم على التفاضل والتراتب،وإنتاج صورة طهرانية للذات،وتركيب صورة مشوهة للآخر،وهو ما سيفضي إلى امتصاص شحن الغلواء التي يمر بها الجسد بحثا عن توازنه وحاجاته الطبيعية وأمنه وكفايته"[60].

[60]- عبد الله إبراهيم:السردوالجسد،المرجع نفسه،ص:661، 662.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-آسيا جبار :بوابة الذكريات،تر:محمديحياتن، دار أمين،2007.

المراجع:

1-الأخضر ابن السايح:سرد الجسد،وغواية اللغة،قراءة في حركية السرد الأنثوي وتجربة المعنى،عالم الكتب الجديد الأردن، ط1، 2011.

2-بن جمعة بوشوشة:الكتابة النسائية المغاربية،المغاربية للنشر والتوزيع،ط1، 2003م.

3-جميل حمداوي:المقاربة النقدية الموضوعاتية،الألوكة،يوم:2018/04/10،الساعة:23:00،WWW.alukah.net.

4-حميد لحميداني:سحر الموضوع –عن النقد الموضوعاتي في الروية والشعر،منشورات دار سال ،المغرب،1990.

5-سعد محمد رحيم:بوابة الذكريات لآسيا جبار:لغة مهموسة وقليل من الحياء الشرقي،الحوار المتمدن،العدد 5649، 23،2018/8/2017،ساعة:01:00 http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid .

6-سعيد علوش:النقد الموضوعاتي،شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع،الرباط،1989.

7-سعيد يقطين:القراءة والتجربة،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط1،المغرب،1985م.

8-عبد الله إبراهيم :السرد والجسد،موسوعة السرد العربي، ط1،دار بيروت،2014.

9-كورنيليا الخالد: المرأة العربية-الإبداع النسائي وخصوصية الإبداع السنوي(أوراق عمل الإبداع الأول 1997) منشورات وزارة الثقافة،2004.

10-محمد السعيد عبدلي:البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب العربي إشراف أحمد منور، قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008م.

11-مها حسن القصراوي:الزمن في الرواية العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1، 2004.

12-نزيه أبو نظال:تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية،المؤسسة العربية لدراسة والنشر،بيروت،ط1، 2004م.

13-يوسف وغليسي:التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج....فعل الكلام،دار ريحانة331،حي البدر القبة،الجزائر.